منطقة محررة

عـــودة مـاتـيـســن إلى الحـمـــراء

نجم والي

لم يكن باعث رحلته شبيهاً بالباعث الذي جعل بودلير أو فلوبير أو أي واحد من أولئك الذين سحرهم الشرق الغامض قبل أن يروه فذهبوا في البحث عنه جنوباً وشرقاً، وبدلاً من أن يصفوا شرقاً رأوه تحدثوا عن شرق خزنوه في مخيلاتهم. كلا، الرسام الفرنسي هنري ماتيس عثر على الشرق صدفة، عندما زار أسبانيا لمدة شهرين من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٠ حتى يناير/كانون الثاني ١٩١١، وحتى هذه الزيارة لم تحمل هدفاً واضحاً حقيقة. وخلال ذلكما الشهرين طاف ماتيس بين بعض المدن الأسبانية، زار مدريد وأشبيليا وقرطبة وغرناطة وتوليدو وبرشلونة قبل أن يواصل رحلته اللاحقة من برشلونة إلى روسيا بدعوة من صديق روسي التقاه في غرناطة، وهذا ما يفسر أيضاً وجود عدد من لوحات وتخطيطات له في متحف الفنون "أرميتاجه" في مدينة سانت بيترسبورغ. وخلال ذلكما الشهرين، ولأن ماتيس الفنان أحد أولئك الذين أدمنوا على الرسم، كان عنده الوقت الكافي لكي يرسم ثلاثة أعمال، إثنان منهما لحانتين والثالثة على شكل بورتريه.

لكن الرسم الذي خططته ذاكرته من تلك الرحلة كان في النهاية أكثر عمقاً وخلوداً. آثار السطوح المحيطة بالحمراء والجبس التي زينت حيطانها انتهت إلى عمق تنويعاتها الفنية، أعمال متقنة حتى الآن يمكن رؤية العفة الطبيعية الشمال أفريقية تنبعث منها. المعرض الذي ضم كل الأعمال تلك التي جاءته من إلهام الزيارة تلك افتتح قبل أيام تحت عنوان ماتيس والحمراء ١٩١٠-٢٠١٠ بمناسبة مرور مائة عام على زيارته تلك في قصر الملك كارلوس الخامس وسط حصن الحمراء.

عشرات اللوحات، بينها ٣٥ قطعة رسم صغيرة، مستعارة من متاحف عديدة ومن جامعي لوحات جاءت من أماكن مختلفة من العالم لكي تبين لنا كيف أن السحر الذي تعرض له ماتيس لم يكن وهمياً، كان حقيقياً لدرجة إنه ترك أثراً ملموساً على الجزء المهم من إنتاجه الفني. ماريا ديل مار بيافرانكا مديرة الحمراء والمؤرخ الفني فرانسيسكو خاراوتا، كانا مثل كوميساري شرطة أخذا على عاتقيهما التحري لتوضيح وقائع تلك الرحلة وتأثيرها على الرسام الإنطباعي. وحسب ما صرحت به السيدة بيافرانكا للصحافة، إن فكرة المعرض ولدت عن طريق الصدفة المحضة، حدث ذلك في عام ١٩٩١ عندما كانت تراجع أحد كتب الزيارات العديدة الموجودة في أرشيف حصن الحمراء ولتعثر في الصفحة الأخيرة من الكتاب على توقيع "الزائر" هنري ماتيس، ولم تعرف حتى تلك اللحظة إنه كان هناك، الإكتشاف ذلك كان باعثاً لها للتحري عن القصة.

في لقاء مع ماتيس نفسه تم في عام ١٩٤٧ إعترف الفنان بأن الألهام الذي كان وراء رسمه للوحاته الأخيرة والتي لاقت نجاحاً لافتاً في حينه جاءه من الشرق. الآن يمكن قول ذلك بأكثر دقة بأن زيارته لغرناطة كانت مهمة جداً ليس لفهم أعماله وحسب بل أكثر من ذلك إنها هي وليس غيرها وراء تكوين الرسام الكبير ماتيس الذي ستدخل لوحاته بعد تلك الزيارة صالونات وكاليريات عديدة في باريس وفي العالم، ماتيس لم يخف ذلك، كتب عن ذلك في كل الرسائل التي بعثها لزوجته ولأصدقائه في الأندلس. في الرسائل (أغلبها معروض في المعرض) تحدث ماتيس بإندهاش أصيل عن الطريقة الساحرة التي "يصفي الضوء فيها نفسه عبر الفضاءات" أو "من العدن الحقيقي الذي تجسده الينابيع والأشجار بكل أنواعها"، من أشجار الكاستانيا وشجر الحور الأسود، من أشجار البرتقال إلى اشجار الرمان "غرانانديتو" وليس أخيراً النخيل، كل تلك الأشجار التي لا تزال تظلل القصر حتى اليوم.

رسائل ماتيس تلقي الضوء أيضاً على إعجابه بالأشكال الهندسية التي ميزت الحمراء، والتي تنتهي دائماً على شكل دوائر في صحن القصر، كما إنها (الرسائل) تبين افتتانه وتأمله للزخرفات التي زينت جدران الحمراء والتي هي على شكل نجمات سداسية متداخلة مع بعض. الطريف إن ماتيس لم ينس في رسائله من وصف بعض المفارقات التي حدثت له في زيارته تلك إلى أسبانيا، مثلاً وهو يصف جولته في توليدو حيث كانت درجة الحرارة ١٠ تحت الصفر لدرجة أن لحيته تجمدت وبسبب ثقل الثلج عليها راحت تسحبه بثقلها إلى الأمام.

وحسب المؤرخ الفني خاراوتا كان عام ١٩١٠ عاماً حاسماً بالنسبة لماتيس، عاماً مليئاً بالأزمات الشخصية والفنية، لكن أيضاً كان عاماً للتجديد بالنسبة إليه. بلاشك كانت زيارته (التي جاءت بعد زيارة غرناطة) للمعرض الشرقي في مدينة ميونيخ الألمانية ميونيخ آثارها عليه وبشكل مثمر، لكن الصالون الباريسي كان رفض عملين له أستوحاهما من الموسيقى والرقص. كان ماتيس بحاجة لتغيير الهواء، كما يقول المثل عندنا. لحظة الإلتباس هذه في حياته كانت وراء رحلته إلى ميونيخ وزيارة معرض الشرق هناك. في لوحته "الجزائرية" عام ١٩٠٩ التصاميم السوداء والكاملة التي خطط فيها تخطيطاته للمرأة وقطع القماش التي تؤطر المكان مثل ديكور تعلن إعجابه بالديكور الشرقي. إلى جانب الهواء الإنطباعي الملون، هذا يبرز بشكل واضح أيضاً إنماء الزهور الكبير الأندلسي المصنوع من الخزف الفرفوري بإنعكاسات نقوشه الذهبية، الحضور الشرقي الحميم هذا سيحضر دائماً على قماش لوحات ماتيس.

أول أعماله التي يمكن رؤية تأثير غرناطة فيها عليه الرسم الذي عمل عليه في عام ١٩٢١، العام الذي بدأ فيه الفنان بدراسة العري الأنثوي. النساء العاريات تقريباً أو الملفوفات في أقمشة شفافة كانت أعمالاً ناجحة لدرجة إنه رسم منها العشرات. أغلب اللوحات تلك رسمها بطلب من جامعي لوحات أو كاليريات أميركية. وتقريباً دائماً مع الموديل نفسه، الراقصة المعروفة هنريتة دياريكاريرا التي دمغ جمالها قماشة لوحات عديدة من تلك المرحلة.

وكما يكتب المؤرخ الفني خاراوتا في تعليق له على المعرض كيف "أن الجمال غير المعروف حتى تلك الفترة للحمامات العربية في الحمراء يتسلل تدريجياً إلى أشكال الديكور الذي جمعه ماتيس في لوحاته الحسية تلك"، والتي يمكننا رؤية "عالم ملون يعرض نفسه فيها، عالم ألوانه القوية واضحة: أحمر، أزرق، ذهبي". التنويعات اللونية هذه موجودة أيضاً في الرسومات الأصلية على جدران قصور الخلفاء والأمراء. المعرض يضم أيضاً سلسلة من صور لماتيس جاءت على شكل طبع حجري مستوحاة من النساء العاريات، الصور هذه أمنتها إبنة الرسام ماغريتة لمتحف ألبيرت في لندن. الصور هذه تعرض في المعرض بمواجهة قطع أقمشة إسلامية لمراحل تاريخية مختلفة زينها الرسام نفسه، موتيفاته الديكورية تعيد نفسها كل مرة وعلى كل قطعة بشكل آخر.

الحمراء هذه المرحلة الخفية حتى الآن من حياة ماتيس تعيد النقاش من جديد إلى أهمية كل تلك الرسوم والزينات التي زينت جدران الحمراء التي نفذها فنانون ألهمَ فنهم أجيالاً عديدة من الرسامين، المهارة الفنية والإبداع في النقوش والبناء الهندسي ما يزال يلقي ظلاله حتى اليوم، إن ليس على الرسم فعلى ثلاثة ملايين زائر يأتون سنوياً لزيارة حصن الحمراء. للأسف الفنانون هؤلاء مجهولون بالنسبة إلينا، لا إسم لها ضاعوا في غبار التاريخ.

إنهم الفنانون هؤلاء الذين يستحقون وضع نصب لهم، نصب: الفنان المجهول.

أحـدبٌ يـتـعـثـرُ بـالـظـلِّ يـلـعـق شـمـسَ الـغـروب

هاتف جنابي

أيُّ كأس مقدّسة نحتسي من يديها الهوى؟
المرايا التي سقطتْ فجأة غاب عن وجهها
المستعار سؤالُ الحجرْ
كيف تبدو العيونُ الخدودُ اللسانُ المُذيّلُ
بالحبر بعد ارتطام الحروف
ببعضَ على صفحة الرؤية الغائبة؟
حُلْمُ خلف قضباننا يبتني شرفةً
فوق أعالي الشجرْ
حلمُ المعبد المستباح بلا رأفةٍ
حجرُ المجدلية في طهرها
حجرُ الغيب والآخره
عالقٌ فوق أعيننا مثل أهدابها
لا نجاةَ لنا بعد يوم كسيحٍ ألمّ بنا.

كيف يبدو القناعُ بلا شفرةٍ والرياضُ بلا زهرة
كلما رجفتْ شفةٌ سقطتْ قبلةٌ
لا الفضاءُ الرحيبُ يُوَفّرُها
لا ارتطامُ الصدى بالسكونِ
ولا الخوفُ من طعنةٍ غادرةْ

المرايا تشظّتْ أمام العيونِ
فأضحى تلاطمُها محضَ
مرأى حياةٍ تغور بأوحالها

لا نجاةَ لنا بعد يوم كسيحٍ ألمّ بنا.

حينما تختفي بسمةٌ من على الأرض والعصفُ
يمحو الطريقَ
وما قد تبقى من الزهرِ في حقل صحرائنا
الكاسرةْ

نستعير رداءَ التفجّع نخلعه،
لنواجهَ موتا رسمناً تفاصيلهُ، سلفا
بفؤوسٍ وأدعيةٍ ماكرةْ.

هل لبغدادَ وقعُ الجحيم كما لِنيُويورك
المُسْتَحمّة في عريها
قصةٌ نَسجَ المحوُ أحزانَها الفاغرات
على صدر بابلَ ثم النبيذَ أراق على برجها؟
هل لبغدادَ طعمُ النبيذ المُراق على صدرها؟

ستغور المياهُ عميقا وتعلو الفضاءَ النسور
صُوَرُ العصْر منثورةٌ حول ألبومه
ملمحٌ لم يَعُدْ في التباس النوايا يُرى
كان في غيبة السائرِ خَلف الظنون
أعزلا صوتهُ
والتفاصيلُ غائبة عند مرأى الغيوم
سَفَرٌ دائم في المرايا التي خدعتْ عُمْرَهُ
غرزتْ كل أنيابها في لسان الرؤى
بين فكين،
عند خوافي القبور.

شفةُ القبلة الهادره
قبل تفتيتها في الطريق إلى الضفة الثانيه

دون قلب المحبة موهوبةً واهبه
لا نجاةَ لنا
بعد يوم كسيح ألمّ بنا
في النجاةْ
أحدبٌ يتعثر بالظل
يلعق شمسَ الغروب.

٢-٧ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٠

شجرٌ من محنة الوقت

غابات تتخفى خلف صفات التأويل

محمود النمر

أعسر ما في الكتابة، هو عن الشعر الذي تتشكل منه غابات متشابكة وقاتمة، تتكون منه جداريات تسرق معاني من الواقع الذي يتخفى خلف صفات التأويل او ما يسمى (الهرمينوطيقا) وهي عبارة عن عدد من تصورات فلسفية مرتبطة بحبل سري نحو تأويلات كثيرة تختلط فيها الأوراق، ولا يعرف الهدف الأول والأسمى الى هذا الشكل التأويلي إلا الشاعر الذي يدخل هذه الغابة المتشابكة ويرى ما خلف هذا الاشتباك الموحش والمؤنس في لحظة الكتابة، لذلك كانت شفرات الشعر من اهم الشفرات التي تفضح معنى الوجود وتطرق الابواب الصدئة بلا استئذان وهي وصول لذروة المغامرة، وأداة كشف عن الأمكنة الملغومة بالأسئلة او كما يسميها الشاعر نصير الشيخ (شجر من محنة الوقت) في ديوانه الصادر عن دار الينابيع بـ ١٠٠ صفحة.

يعمّد نصير الشيخ مجموعته بمقولة الشاعر الفرنسي – دسنوس – ١٩٠٠- ١٩٤٥(أيتها الكلمات هل أنت أساطير ؟ وهل تشبهين أمس الموتى ...) هذا الشاعر المجدد في الشعر الفرنسي والرافض للنمطية في الشعر،واشاعة روح التمرد في تكوين القصيدة .

في القصيدة الاولى من الديوان " طاعن في الرخام " من شباك العدم / ولدت .. / هذا انا / أنام بأغطية الحرب / اشرب نخب الوصايا / وأتلو خلسة / سورة الضياع /،هذه المقطوعة توحي بأن نصير يحمل صليبه على قفاه من خلال رمي الاسئلة على شجرة محنة الوجود .

العدم – الولادة - الانا – الحرب – الوصايا –الخلسة – الضياع – هذه الدلالات المشتبكة الموحية بأن الشاعر يبدأ بالمحنة منذ المقطع الاول في الديوان ،اذن هي الريبة الاولى في عقرب الساعة للوقت –الذي يصحو اخيرا على صافرات الحنين – ويتجول سرا في مخابىء الذاكرة – ويسير ليلا بعري الغياب – وهذا الشاعر مايزال يحلم ولكنه اغرق مراكبه في لجة الحيرة على مسافة قريبة جدا من كنف الموت الذي لايعرف كنهه وهذا هو السؤال الابدي الذي ابداه – كلكامش- الباحث عن عشبة الخلود ،وهكذا بقيت هذه الحيرة والسؤال الملغّز الذي ليس له جواب ،والشاعر نصير الشيخ هو احد هؤلاء الابناء الذين ينتمون الى بلاد سومر يعتمر تلك الحيرة الابدية ويبحث كأسلافه / إليك يا أبي .. / ايها الذاهب في نزهة للأبدية / تفترش الرمال الساخنة ../ تقرأ سورة الحبِّ ../ وتنام مليا/ على حدقات الأرق .

من الطبيعي ان يطرح الشاعر نصير الشيخ الاسئلة بإلحاح مستبطن الطبيعة والهواء او الوجود كله وبهذا السرد الشعري الملاحظ على صفحات المجموعة التي توزعت انتقالاتها على بحور عدة منها الكامل والخبب والمتقارب وغيرها من البحور الشعرية وهنالك بعض القصائد النثرية التي لاتخلو من إيقاعات تراتبية محتشدة بالصور الرمزية (الأليغوريّة) وهذا يعتمد على قدرة الوعي لدى نصير الشيخ وليس من باب الغموض او التغريب بل يتكئ على إرث حضاري متوارث وثقافة مكتسبة / عليلٌ جنوني من الصحب والذكريات اللعينة / ثملاً /تركت وراءك طلاقة الباب مشروخة / وركبت عصاك الى مدن من ضجيج ونيون /ونساء يقطرن كحلاً /يترنمنَ بحمل خزائنَ أعتى الملوك / ورفع مقالع طين الآله / فحاذر عبور خطوط السبات / الى غيمة لم تلد مطراً.

يقول نصير الشيخ (في رحلة الكتابة شعرا ،تولد القصيدة وترسم مسارها الإبداعي،غير لاغية ارتباطها بجغرافيا الروح والارض،وقد تكتسي بعض النصوص بتجريدية عالية،وهذا متأت ليس من قبيل اصطناع الغموضً او التغريب لتوفير عنصر الادهاش،بل هو دليل الجذور المعرفية التي تمد نسوغها في أعماقي السرية). شهادات وتجارب في جريدة الصباح الاثنين ٨/ تشرين الثاني /٢٠١٠العدد ٢١٠٤الصفحة الثقافية .

ان مجموعة (شجر من محنة الوقت) اعتمدت الكثير من تواريخ الانسانية فهي تفضي الى الوجود بمعنى (الأنا) وكذلك تسترسل الى الأنا بمعنى (الجمع) وهي المحنة التي يطرحها الشاعر نصير الشيخ بشعرية تقف بوقار امام هذا الكم من الشعر ولكن بخصوصية صادقة تنم عن شاعرية متنفذة وتتخذ جانبا جليا في المشهد الشعري العراقي .

في رواية (البحار النائم) للكوبي ابيليو استيفيه:

شـخـصـيـات تـعـيـش عـلـى أنـقـاض الـذكـريـات

ترجمة: عدوية الهلالي

عبر قرن من التاريخ الكوبي ، مر موكب من الشخصيات في رواية (البحار النائم) للكاتب الكوبي ابيليو استيفيه. بنات أخ ، أبناء عم ، أخوات، أجداد ، أسلاف ...الكل يعيشون على شاطئ معزول من ضواحي هافانا ، عاصمة هذا البلد المنهك حيث يمكن توقع حدوث الأسوأ دائما ..

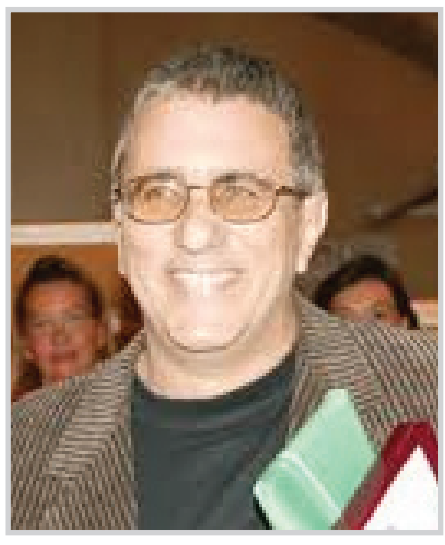

نحن في عام ١٩٧٧ ، حيث تدور تلك الشخصيات الحقيقية منها والوهمية حول محور حياة الشابة فاليريا فكلهم أقاربها او معارفها ولكل منهم قصته. كان الكاتب استيفيو المولود في عام ١٩٥٤ قد ناقش الحياة الكوبية من قبل في ثلاثيته (مملكتك) عام ١٩٩٧ ..وهاهو يعود ليتناولها من جديد في روايته الجديدة (البحار النائم)... نجد في الرواية (العم اوليفيرو) ، وهو رجل يشعر بالهزيمة والكآبة بعد ان كان مرحا في السابق ، وكان قد عرف باريس وأضواءها في الليلة السابقة للحرب العالمية الثانية وكان يحلم بانكلترا الجديدة وبفصل الخريف فيها وتساقط ثلجها وبيوتها الصغيرة ذات المداخن والسقوف المائلة ...و(مينو) المصاب بارق دائم والمجنون بالأوبرا ..وشقيقه الكولونيل (جاردنيرو) الذي يتحدث الى الطيور، ثم (اليسا) الممثلة الغامضة والتي تعشق كامو والثقافة الفرنسية ، وايضا ذلك الشاب (جاميه) ابن عم فاليريا الذي لا يكف عن الحديث عن المحيط حيث يستحم ليلا والذي اختفى في البحر ذات نهار من دون ان يعرف احد ان كان اختفاؤه هروبا او حادثا..

ويعيش الكل خيبة امل كبرى بعد فشل الثورة الكاستروية ولا يجدون مجالا للتغيير الا في استذكار أحداث كثيرة منها تمرد السود في عام ١٩١٢ ، والكاتب المستقل جوزيه مارتي والعصر الذهبي للموسيقى الكوبية في سنوات الخمسينيات والقمع الذي عانى منه الكتاب الشواذ في سنوات السبعينيات، والمنشقون والمعارضون للتأثير السوفياتي .. بعد ثلاثين عاما ، سنجد فاليريا من جديد في نيويورك ، مسحورة بمشاهدة تساقط الثلج وبسماع صوت بيسي سمث ..بعد ان تركت خلفها بلدها كوبا متهالكا من التعب من دون ان تكف عن التفكير والحلم به ..

يمكن اعتبار هذه الرواية هي الافضل بالنسبة للكاتب ابيليو استيفييه المنفي منذ عشر سنوات الى برشلونه ...وقد ترجمت روايته (البحار النائم) عن الاسبانية الى عدة لغات منها اللغة الفرنسية ونشرتها دار غراسيه الفرنسية للنشر مؤخرا في ٤٩٢ صفحة.

وجهة نظر

فـــي ثـقـافـة الـمـســمـوع وبـلاغـتـه

باسم عبد الحميد حمّودي

المحكي أو المسموع المتداول يكتسب تاريخيا قوته التعبيرية من قدرة المستخدم له على التجويد في الإفصاح والبيان وتختلف معاجم) المسموع باختلاف الثقافة العامة لمن يتداول المسموع الشفاهي،أذ أن أداء الطبقة المثقفة للمحكي يختلف كمفردات وأفكار عن محكى طبقات أخرى ، وللمدن محكاها الشفاهي وخزين مفرداته هي والقرى المحيطة بها ، اضافة لاختلاف الافصاح البلاغي من منطقة الى اخرى ومن مجموعة بشرية ذات لون خاص (قصابون –حدادون- خياطون ... الخ) الى مجموعة أخرى .

لابد من ان يكون لكل مسموع –شفاهي – تداولية خاصة،بمعنى أن يكون له محيطه الاجتماعي أضافة الى منطلقاته الفكرية والتاريخية ، من ذلك الخزين المنطوق – المسموع المتداول بالتالي – اخترنا بداية كلمة(شجاك ؟) الاستفهامية ، ومنها تنطلق مفردات الجمع (شجاكم)والتأنيث (شجاج؟) والحديث مع مخاطب أو غائب(شجاه؟) .ويكون نطق الكلمة منسجما مع موقف الناطق (المرسل)هادئا او غاضبا.

واذاكان بعض الحالمين من متذوقي الفن يتذكرون اغنية (شجاها الناس ؟) التي قدمت ب(طورين)الاول منهما كمقدمة لإحدى المسلسلات العراقية وأخرى كأغنية مفردة لكاظم الساهر مرة ولباسم العلي مرة أخرى ، وبذلك تحولت مفردة (شجاها) من فرديتها وثنائيتها الى مطلق عام يعني الناس بأسرهم ،باعتبار ان هذا التساؤل انفتح على الناس اجمعين بما يعني : (ماذا بكم ؟ ماذا حصل لكم ايها الناس لتكونوا هكذا ؟).

و(شجاها) ليست من الشجى مباشرة ولكنها تعني بالضبط :

ماذا حصل ؟ للمفرد وللمثنى ، وكذلك (لماذا تفعل ذلك ؟) وهي كذلك تعني :(ما الذي حصل لك لتكون هكذا؟) وتنسل من هذه المفردة الكثير من المفردات الأخرى.

وأذا اخترت للتعبير عن التلوين في الأداء البلاغي والنفسية كلمة (تفضل)وجدت التلوين في ايقاع الكلمة النفسي في لفظ (نبرة) من نطق بها ومن سمعها (من تلقاها) فاذاقال المتحدث كلمة (تفضل) بتشديد غاضب يكون ايقاعها السمعي والنفسي شديد الوطأة والاثر فقد يعقب النطق بها عقاب أو اصطدام ، واذا كان الاداء ونبرة الصوت منخفضة فاترة كان النطق يدل على نوع من العتاب او اللوم الهادئ ، واذا كان النطق بها طبيعيا وشكل الناطق مرحبا باشّا كان الايقاع النفسي للمتلقي حسنا لاأثر فيه لصدمة نفسية .

أن بلاغة المسموع المنطوق لا يتعلق بمجرد الكلمة بل ببنية الاداء وتفصيلات قدرته على أبلاغ رسالة محددة،والكلمة المنطوقة هنا لاتحتاج الى نبرة تشديد او ترحيب احيانا بل الى اداء تعبيري يسري على الوجه والجسد ليؤدي المنطوق دوره الكامل في الابلاغ والامثلة في ذلك كثيرة لاتعد.